الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

إعداد

مكتبة الحرم المكي الشريف

أُختاه..

هذا البَيْت! قد سدَل سِتارَه

فالمرأة في ديننا مكفولة بكل حال، وليس هناك دين آخر يوصي بالكفالة والنفقة المطلقة للمرأة غير الإسلام، وعلاوةً على ذلك لها كامل الحرّيّة فيما تملكه، ولها حقّ الميراث، ولها حقوق كما للزوج مثلاً بمثل (ولهنَّ مِثْلُ الّذِي عَليهِنَّ بالمعْروف)، كما أنّ لها كامل الحرّيّة في قبول أو رفض الزوج الذي تقدم لخطبتها، ففي صحيح البخاري ردّ النبي ﷺ نكاح الفتاة التي أكرهت من أبيها بالزواج ممن لا ترضاه..

وجعل المنّان سبحانه وتعالى أسباب دخولها الجنّة أيسر من الرجال (أيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها دخلت الجنة) أخرجه الترمذي وابن ماجه وضعفه الألباني و (إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنّة) أخرجه الإمام أحمد وصححه الألباني فالنساء أكثر أهل الجنّة عدداً، كما أنّهنّ (أكثر حطب جهنّم) أخرجه مسلم.

أنتِ عند هذا البيت المعظَّم..

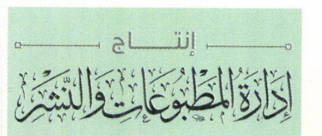
فهو يستحقّ منك احتراماً وتعظيماً، فربّ هذا البيت هو من أكرمك بهذا الدين الذي ضلّ عنه الكثير.. فجميل منكِ أختاه أن يراك الله عند بيته وأنت معظّمة له!

وها هو البيت في جلاله وعظمته قد (سُدل ستاره) وهو جماد، وأنت قد رفع الله مكانتك وعظّم حرمتك كما عظّم حرمة البيت! أفلا يجدر بك يا أختاه؟ أن تسدلي الستار على وجهك وأنت في حرم الله.. بل حتّى خارجه.. فربّ هذا البيت الذي أمرك بتعظيمه هو من أمرك أيضاً أن تسدلي الستار على وجهك، قال تعالى: (وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهنّ)..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا جاوزوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه) صحيح أخرجه أبو داود.

نظنُّ أنه قد حان أن نتعلّم هذا الدرس..

من البيت قبل أن نفارقه ونودّعه، فربما هذا آخر العهد به؟!



في يوم عرفة..

من كلّ عام وفي مشهد رائع، تبرّز الكعبة المشرفة وتكسى بحلّة جديدة، فيفيض الناس إلى البيت يوم العيد وقد (سدل البيت ستاره).. في جلال وهيبة!!

رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل -عليهما السلام- وأذّن في الناس بالحج فبلغ النداء جميع الناس وهم في أصلاب آبائهم، ومنذ ذلك الحين لا تمرّ على البيت لحظة إلاّ وحول الكعبة طائف يطوف في مهابة وإجلال، وقد فطروا على محبته وتعظيمه ببركة دعاء إبراهيم عليه السلام (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) أي تميل وتحن وتفد محبة إلى البيت..

فما أعظم أن نعرف حرمة هذا البيت، قال ﷺ: (إنّ هذا البيت حرّمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله إلى قيام الساعة).

ومع هذا فهناك مخلوق..

حرمته أشدّ وأعظم حرمة عند الله، من هذه الكعبة المشرّفة، إنه ذلك الإنسان المؤمن الذي شهد (أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله) قال ﷺ: (ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك) أخرجه الترمذي وحسنه الألباني وقال: (لزوال الكعبة حجراً حجراً أهون عند الله من إراقة دم امرئ مسلم بغير حق).
يقول الإمام الشحاوي لم أقف عليه بهذا اللفظ

ومن بين جنس الإنسان جنس لطيف صانه الإسلام بحرمة مضاعفة، جنس يمثّل نصف المجتمع ويقوم بتربية النصف الآخر، فإذا كان الإنسان المؤمن أعظم حرمة عند الله من «الكعبة» فجنس المرأة المؤمنة أعظم بني الإنسان حرمة، حتى أنهم ينادونها في كثير من المجتمعات بـ «حرمة» ويجمعونها «حريم».. لأنّه استقرّ في نفوس الناس حرمتها.

فيا لهناك أختي المسلمة وقد شرفت شرفاً مضاعفاً حيث أحاطك كنف الإسلام بعناية ورعاية خاصّة..

حال المرأة في الجاهلية.. قبل أن يأتي نور الإسلام..

عند هذا البيت.. كانت المرأة في الجاهلية يعتبرونها من سقط المتاع، وكانت مصدر شؤم وعار، قال الله تعالى: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

وكم من فتاة وُئِدَت في الجاهلية؟

أي دفنت وهي حيّة خشية العار - زعموا -!

قال تعالى: (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).

وإذا حاضت تعزل وتحبس في غرفة مظلمة حتى تطهر، وإذا مات عنها زوجها تعتدّ في غرفة خارج البيت لعام كامل، لا تقرب ماءً ولا تغتسل ولا تطّهّر، وتقضي حاجتها وتأكل في نفس المكان، وبعد انتهاء عدّتها! يُدخل عليها كلب أو غُنيمة فتتمسّح به - وكان لا يلبث أن يموت الحيوان - ثمّ تأخذ بعرةً - روثاً - فترمي بها إعلاماً بأنّ عدتها انقضت!!

ولا يصان لها عرض فكانت تطوف بالبيت وهي عارية.. نسأل الله السلامة والعافية..

فعند هذا البيت..

غرست للمرأة كرامتها ببعثة النبي ﷺ، وأصبح لها موقع مرموق في المجتمع بل فاقت الرجال في الفضل في مواطن.. مثل الأم!

فأصبح الإحسان إليهنّ ستراً من النار، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: (من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهنّ كنّ له ستراً من النار) متفق عليه.

ومن أعالهنّ كان مع النبي ﷺ يوم القيامة، ففي الحديث: (من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين) أخرجه مسلم.